شاب سعودي في «نفق معتم» على «الطريق السريع»

قاهر الظلام اسمه «محمد بيلو»

جدة: من خالد بافقيه ـ تصوير: عبد اللطيف الصيباري

في كل يوم يمر يفقد جزء من نور عينيه. وينتظره ـ حسب تقارير الاطباء ـ ظلام دامس. لكن الشاب السعودي ـ محمد توفيق بيلو ـ لم يستسلم.. ولم يكتف بالانتظار. قرر ان يسابق الزمن ويعد نفسه للتعامل مع الظلام. تسلح بالايمان والعلم، وارادة من حديد.. وبدأ رحلة قهر الظلام والخروج من النفق المعتم مسطراً حكاية تستحق النشر والتامل.

عندما غابت شمس النهار، وهجم ظلام الليل، عثرت عليه شرطة مدينة «ليستون ماين» الامريكية سائراً يتلمس طريقه بعصاه البيضاء الخاصة بتحديد سلامة الاتجاه.

كان محمد بيلو (32 عاما) قد ضل الطريق. سار بمفرده، وهو كفيف، عكس الاتجاه قاصدا وسط المدينة في الصباح، فانتهى به المطاف الى أطرافها. قضى ساعات قطع فيها الأميال الطويلة الى ان هبط الظلام فضاعت معالم الطريق. كان يستطيع ان يوقف سيارة اجرة يستقلها في أمان الى منزله، لكنه لم يفعل. لماذا؟ سؤال وجيه نقف على اجابته في ثنايا قصته كما يرويها بنفسه.

يروي محمد توفيق بيلو الحكاية من البداية يقول:

أنا من مواليد 1961 متزوج ولدي ابن واحد سميته «سندس».

التحقت بالخطوط العربية السعودية منذ ثلاثة عشر عاما، قضيت منها ثمانية اعوام ملاحا جويا وخمس سنوات مدرباً في مركز تدريب المضيفين بجدة حتى تاريخ اكتوبر 1992. ونظراً لإصابتي بمرض وراثي في الشبكية، ادى الى تدهور حالتي البصرية، تم احالتي الى الهيئة الطبية العليا بجدة من قبل الخطوط السعودية. وكان نتيجة التقارير الطبية احالتي الى التقاعد المبكر. ورغم ان تقريرا آخر طرح بعض الحلول اللازمة لأستمر في انتاجيتي العملية ادارياً، لكن لم تكتب هذه الامور في تقرير الهيئة.. خاصة انني كنت أمارس حياتي العملية بطريقة تتناسب مع قدراتي المتبقية الى ما بعد قرار الهيئة ولم تشفع كل توسلاتي في استئناف ذلك القرار واعادة الكشف عن طريق مركز متخصص، ورغم اني قمت بتطوير انتاجيتي وقدراتي ونلت جائزة الموظف المثالي لعام 1991 ـ 1992، وهي المرة الثانية التي احصل فيها على نفس الجائزة، ذهبت كل توسلاتي ومطالباتي ادراج الرياح.

بدأت رحلتي بالتنقيب عن الوسائل الممكنة لادماج ضعيفي البصر في المجتمع وتأهيلهم لتولي بعض الاعمال التي تتفق وقدراتهم اسوة بالمعوقين وفئة المكفوفين منهم بصفة خاصة.

مكثت في منزلي بين جدران مكتبة جدي لأمي «طاهر زمخشري» (اذاعي سعودي من الرواد انتقل الى رحمة الله)، وكان ايضا في مكتبتي الصوتية الخاصة والنادرة العديد من الصوتيات، والتي كان حصيلة البرامج الثقافية والعلمية التي قمت بتسجيبها وجمعها، وفهرستها، ونقبت في العديد من الكتب والدراسات والصوتيات ومنها كتاب «نكد ونكت العميان».

احدث التقنية لاشباع الهواية واعداد نفسه للمجهول

وفي البداية قمت باعداد دراسة بعنوان «كربة موظف» تضمنت مشكلتي العملية والفسيولوجية، وكيفية التعامل معها.. وكانت هذه الدراسة نوعاً من التسامي فوق الالم والتعويض عن الخسارة وكل السنين الضائعة منذ احالتي على التقاعد في اكتوبر من عام 1992.

بدأت ادرك ان قضيتي ليست قضية فردية.. انها قضية تتعلق بضرورة ادماج ضعيفي البصر في المجتمع وتأهيلهم لتولي بعض الاعمال التي تتفق وقدراتهم إسوة بالمعوقين وفئة المكفوفين بصفة خاصة. ورغم كل ما حدث نتيجة خطأ في مسار التقرير الطبي الخاص بي، والذي نتج عنه قرار احالتي الى التقاعد، فانني اثق في «السعودية» وما وصلت اليه من مكانة مرموقة بين شركات الطيران العريقة في العالم والمرحلة الانتقالية الحالية التي تمر بها ولن تعدم الوسيلة التي يمكن ان تستوعب طاقات وقدرات احد ابنائها وتبنيها لفكرة وجبات الركاب المكفوفين التي قمت بتقديمها وتلقيت في حينها شهادة تقدير بريادة الفكرة وذلك بمناسبة حصول «السعودية» على جائزة عالمية من خلال عرضها للخدمة التي قدمتها ولازلت اذكر بعض العبارات التي تضمنها خطاب «السعودية» في حينها «ان السعودية تعد اسهامكم عاملا فاعلا في هذا الفوز وايضا لفخورة ان يكون بين ابناء هذا البلد من يحرص على خدماتها واعلاء صورها محليا ودوليا».

ويقول محمد توفيق بيلو: زرت بعض المراكز الخاصة بالمعوقين بصريا واستهدفت رحلتي الى اميركا مؤخرا معرفة مقياس الحد البصري الذي



أمام جهاز تكبير وقراءة

بلغته الآن وكذلك متابعة ما وصلت اليه خدمة الركاب المكفوفين على الطائرات وتطويرها على مستوى عالمي، اضافة الى الاطلاع على امكانيات التدرب والتعامل واستخدام ما هو متاح للمعوقين بصريا في اميركا. انني الآن كفيف من الناحية القانونية وليس الفسيولوجية وهذا يعني ان هناك جزاء ضئيلا من البصر الا انه لا يكفي للاعتماد عليه في الحياة العملية والعامة. لذلك استنتجت انني استحق جميع ما يمتاز به الكفيف وبامكاني استخدام التكنولوجيا والمساعدات البصرية لممارسة بعض الاعمال الحركية او العملية.

ويوضح محمد بيلو الأمر بدقة فيقول: حدة بصري الآن هي 20 على 400 وهذا يعني ببساطة ان ما يمكن رؤيته على 400 قدم للانسان الصحيح يجب تقريبه لعيني 20 قدما كي أراه.. فالانسان ذو البصر الجيد يرى «20 على 20» = «6 على 6» بنظارة او غيره.

وفي امريكا وجد محمد بيلو ان هناك برامج تأهيلية تتعلق بنوع العمل الذي يمكن القيام به.

زار مركز اللايت هاوس، بمنطقة مانهاتن بمدينة نيويورك، وهو عبارة عن مبنى ضخم مكون من 40 طابقا صممت جميعها للمعوقين بصريا بجميع حالاتهم، كما جهز المبنى بتكنولوجيا صوتية متقدمة حيث الارشادات تعطي بالحاسب الآلي صوتيا، المزود به المصعد المتحدث. ويصف محمد بيلو زيارته لهذا المركز العلمي فيقول: عند الوصول الى الطابق المطلوب، يفتح الباب ويخبرك صوت يصدر داخل المصعد برقم الدور، وعند الخروج اتجه يمينا او شمالا، كما وضعت المصاعد في اماكن بحيث لو انك خرجت من المصعد، فيجب عليك اتباع ارشادات المصعد.

ويقوم هذا المركز بعمل الدراسات والابحاث المتعلقة بالاعاقات البصرية، والكشف على المصابين بها وتحديد امكاناتهم البصرية ثم تقديم ما يلزمهم من ارشادات بالنسبة لاستخدام المعدات البصرية، وارشادهم الى ما يمكن اتخاذه في حالات الاعاقة البصرية. وأيضا تدريب اطباء العيون على طرق فحوصات واختبارات الاعاقة البصرية وطرق التعامل مع الحالات، وتقديم برامج كتابية وعملية للمعوقين

بصريا بالاضافة الى برامج تدريبية لاعادة التأهيل للتعامل مع الحياة اليومية، وتقديم التدريب للجهات والاعمال باستخدام تكنولوجيا الاعاقة البصرية واستخداماتها. في المركز خضعت لفحص استمر خمس ساعات واستلمت نظارة والعدسات المكبرة وعصى المشي، وكلفني ذلك 800 دولار. ونظرا لمعرفة المركز بالبحث الذي قمت به «وجبة الركاب المكفوفين»، فقد التقيت مع مديرة المركز، وقمت بجولة شاملة اطلعت خلالها على اهم مرافق المركز حيث يحتوي الدور الارضي على صالة عرض كبيرة يباع فيها كل ما يحتاجه الكفيف او المعاق بصريا.

وهناك طابق خاص بالعيادات الطبية وهناك طابق آخر مزود بحاسبات آلية خاصة للمعوقين بصريا، وفصول دراسية للتدريب، اضافة الى اقسام اخرى ادارية وسكن واعاشة ومدرسة للأطفال المعاقين بصريا.

كما يقوم المركز بمناقشة فكرة المؤتمر والمعرض الدولي للاعاقة البصرية مع كل من اللايت هاوس، وامريكا برنت هاوس، والجمعية الامريكية للعميان.

لم يكتف محمد توفيق بيلو من زيارته بما استفاده لنفسه ولتحسين حالة ضعف البصر التي يعيشها وتزداد حدة يوما بعد يوم بل اخذ يفكر في ما يمكن ان يقوم به من اجل من هم في مثل حالته. ناقش مع المسؤولين في المركز الامريكي دراسة بدأ في اعدادها حول امكانية مساهمة شباب سعودي في برامج «توعية عالمية للعميان».

ويشرح مضمون دراسته فيقول: الفكرة تقوم على ايجاد تجمع عالمي للجمعيات والهيئات والشركات التي لها علاقة بالاعاقات الطبية اضافة الى فتح باب المشاركة للأفراد والشركات التجارية ذات الاتصال المباشر بالمكفوفين مثل الطيران، الاسواق والمطاعم.. الخ. على ان يكون هذا التجمع في شكل منافسة دولية تقدم فيه جوائز نقدية لأفضل من يقدم بحثاً يساعد على تحسين اوضاع المعوقين بصريا في المجالات التالية: جائزة افضل بحث او رسالة علمية في الاعاقة البصرية، جائزة افضل مشروع لتحسين خدمات المعوقين بصريا في التغذية والاقامة، وفي الحافلات اضافة الى التنقل بالطائرات والقطارات، وجائزة الادب والفنون لأفضل عمل فني للمعوقين بصريا، وجائزة الابداع لما يتعلق بالمعوقين بصريا ثم الجائزة الكبرى. على ان تقام هذه المناسبة وقت انعقاد الاوليمبيات الرياضية وهذا يساعد على توجيه اكبر قدر ممكن من الاعلام نحو المعوقين بصريا.

ويقول بيلو: لقد قمت بعرض هذه الفكرة على هيئات دولية وجاءت الردود من كل من: الاتحاد العالمي للمكفوفين، اميركان برنت هاوس، منظمة الصحة العالمية، وبروفسور اميركي.

ويتابع الشاب السعودي محمد بيلو حديثه قائلا: وأخيرا قمت برحلات فردية لاتمام بحث اقوم بكتابته حول الوسائل الكفيلة بتطوير خدمة سفر المعوقين بصريا على كل الطائرات والقطارات والحافلات والسفر سيرا على الاقدام. وقمت بالتنقل بمفردي دون اصطحاب اي مرافق بالطائرة مع الخطوط البريطانية من جدة الى لندن الى بوستن الامريكية. ثم مع خطوط دلتا من مطار بورت لاند الى نيويورك، وبالقطار من مدل تاون ـ بانسلفين الى نيويورك مرورا بمدينة فيلادلفيا والعودة ايضا. ثم بالحافلات من ولاية

يتلمس طريقه بعصاه البيضاء



مع «سندس» عند جبال الألب السويسرية

نيويورك الى ولاية ماين ذهابا وعودة.

وبالاضافة الى هذا البحث الذي يأمل في نشره قريبا لتحسين سلامة وخدمة الركاب المعاقين بصريا على الطائرات، بدأ محمد بيلو في اعداد «موسوعة علمية وعملية عن العمي والعميان».

ويوضح بيلو: لا بد أن نتفق على ان ضعيف البصر والاعمى كلاهما واحد وهذا بنص شرعي وجميع العلوم الطبية في مجال العيون تؤدي الى ذلك.

ويوجد في العالم ما يزيد على 50 مليون كفيف منهم 160000 كفيف في المملكة العربية السعودية. وقد اثبتت الفحوصات المتطورة ان ما يقارب من 80% من المكفوفين في العالم لديهم جزء من البصر ويمكن الاستفادة منه عن طريق استخدام المكبرات الطبية الحديثة ووسائل اخرى.

وعن موقف تعرض له بيلو يقول: كنت اقيم مع زوجتي وابني في احدى الولايات الشرقية لأمريكا وبالتحديد في مدينة ليستون ماين، فسئمت الموقف كمعاق بصريا من حيث افتقاد الحرية الذاتية فقررت الخروج بمفردي في الصباح للتسوق.

في الحادية عشرة صباحا خرجت من المنزل وبدأت السير في شوارع المدينة الهادئة ثم مشيت باتجاه الرصيف بحيث لا احتاج لقطع الشارع.. بعد ساعتين من المشي، بدأت اشعر انني في مكان لا اعرفه.. قررت مواصلة المشي تجاه القرية بالقرب من المدينة حيث يوجد اقارب لي يتواجدون بها ظنا مني بأن الامر بسيط، وحسبت ان زوجتي قد تقابلني في الطريق اثناء قيادتها السيارة عندما تتوجه الى بيت جدتها (زوجته امريكية) وهو المنزل الذي كنت اقصده.

الا انني كنت اسير في الاتجاه المعاكس، وفجأة اكتشفت انني خارج المدينة وواصلت السير بين الحقول وغابات الارز.. ومع مرور الوقت.. بدأ نور النهار يتلاشى وبدأت في المرحلة الصعبة لأنني لا ارى تماما في حالة الظلام والطبيعة التي كنت امشي حولها مليئة بالاشجار. والمشي في النهار سهل لأنني كنت اعتمد على اتجاه الخط الأبيض الموجود على جانبي الطريق وهذا غير ممكن في الليل. هنا توقفت عند المحطة واشتريت بعض الطعام حيث كانت الساعة السادسة مساء. شعرت بالتردد في إخبار الناس عند المحطة بأنني ضللت الطريق ولم ألفت انتباه الآخرين الى انني كفيف البصر. واكتفيت بالسؤال عن اسم المكان الذي انا فيه وكيفية الاتجاه الى مركز المدينة التي كنت قد وصلت اليها.

عاودت السير وحال الظلام بيني وبين معرفة الطريق... وادركت اني مشرف على خط سريع ذي ثمانية مسارات، وبدأت السير على رصيف الطريق مستخدما العصا البيضاء الخاصة بتحديد سلامة الاتجاه. وفجأة توقف احد السائقين وسألني: هل تعرف الى اين تتجه. فقلت نعم انني متجه الى مدينة كذا. فسألني هل تريد المساعدة. قلت لا شكرا. فقال انت على بعد 5 ـ 6 اميال وأمامك جسر على بعد ميل واحد. فشكرته ثانية وقلت له انني سأواصل المشي.

في تلك الاثناء طال غيابي عن المنزل فقامت زوجتي بابلاغ الشرطة وتم ابلاغ جميع دوريات البوليس والتاكسي وجميع المواصلات العامة عني.

وفي حدود الساعة التاسعة مساء بينما كنت على بعد 13 ميلا من مدينة ليوستي، وبعد مغامرة ورعب شديدين اصاباني، اجتزت الجسر فتوقف سائق تاكسي واخبرني انه سمع نداء للبحث عني عبر قنوات البوليس الهوائية العمومية... وطلب مني الانتظار لابلاغ البوليس عن مكاني كي يتمكنوا من ايصالي. وبالفعل اتصل وبلغ عني. وبينما كنت انتظر سيارة الشرطة، سألني عن سبب بحث البوليس عني، فاخبرته قصتي ولم يصدقني في البداية لطول المسافة التي قطعتها.. ثم جاءت سيارة البوليس وبها الشريف الذي اركبني معه الى قسم الشرطة وتم الاتصال بالمنزل..

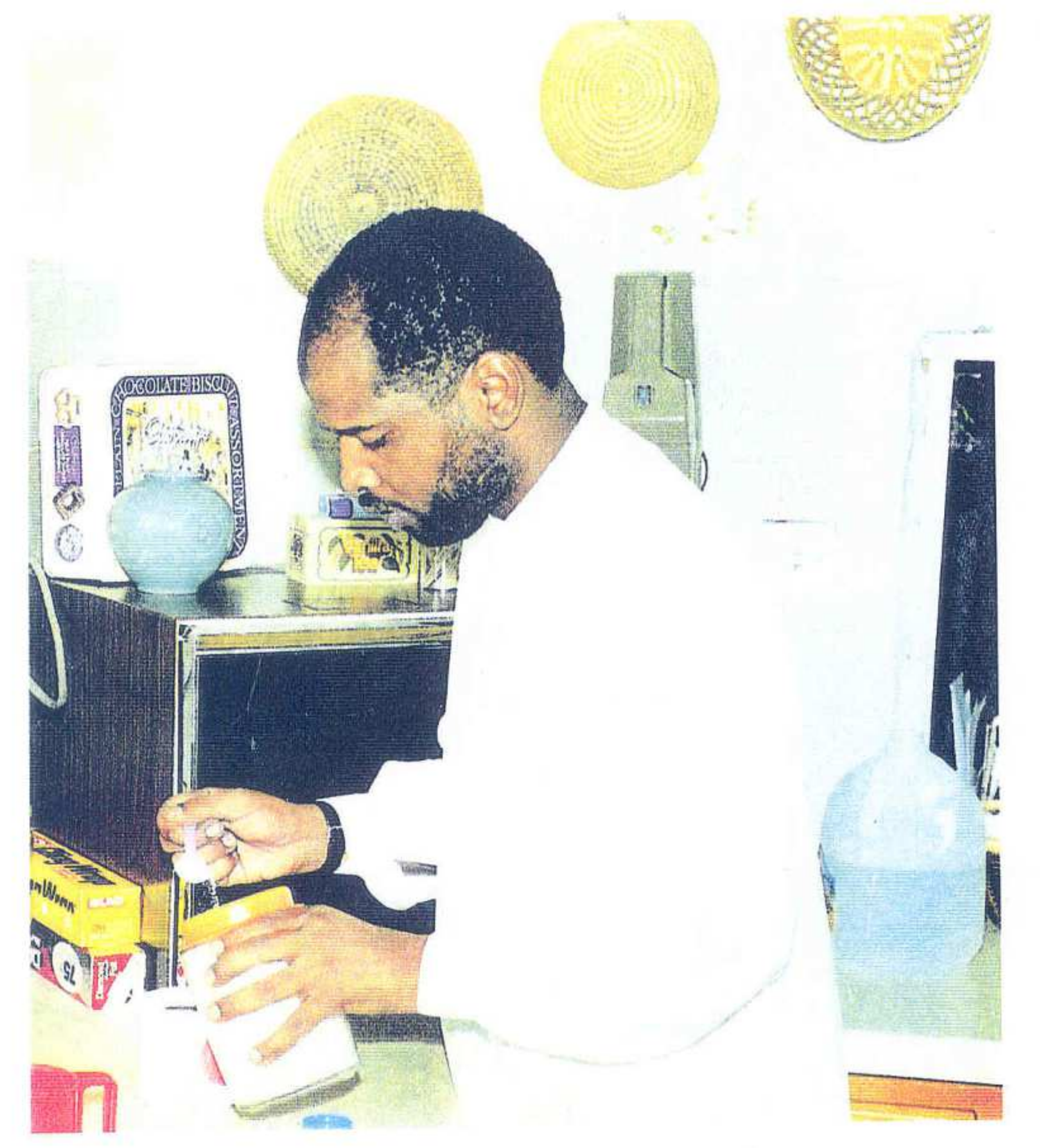
•••

وما زال محمد توفيق بيلو يسابق الزمن في رحلة البحث عن بوابة الخروج من النفق المظلم.. ما زال ينتزع النجاح ويعد البحوث والدراسات ويزداد عزيمة وارادة. وفي كل يوم تزداد مساحة الفرح في وجدانه وتزداد مساحة النور داخل قلبه فتقوى البصيرة ويقوى الأمل ■

هذه المرة، كان محمد بيلو يزور مكاتب «مجلة الشرق الاوسط» في جدة بمفرده.

لم يعتمد على مرافقة احد وكانت عصاه البيضاء الصغيرة سندا كافيا.

محمد بيلو، بصير شاب فقد نعمة البصر قبل اعوام قليلة، لكنه من خلال برنامج تدريب مميز التحق به في احدى الولايات الامريكية، استطاع ان يكتشف المعادلة الجديدة العادلة، وهي ان الاعمى يستطيع ان يكون عضوا فعالا ومشاركا في المجتمع بدون اي عزل له سواء من منطلق الرأفة به او اعتباره عاجزا.



منذ اربع سنوات اصبحت في حكم الاعمى حيث لا ارى الا في ظروف خاصة ومحددة، ذلك نتيجة مرض في قاع العين، ونتيجة لذلك تقاعدت عن العمل، حيث عملت لمدة 11 عاما في حقل الخدمة الجوية بالخطوط السعودية، ومنذ ذلك الوقت وانا اصارع مجتهدا لاصبح مشاركا في المجتمع بصورة تتناسب وقدراتي البصرية.

بهذه الكلمات تحدث الينا محمد بيلو الشاب السعودي الذي سبق ان كتبت عنه «مجلة الشرق الاوسط» قبل عامين موضوعاً تحت عنوان شاب سعودي يقهر الظلام وبيلو عندما حضر هذه المرة الى مكتبنا في جدة كان يسير بمفرده باقتدار دون مساعدة من اي شخص مستخدما عصا بيضاء من الالمنيوم خفيفة الوزن يمسك بها في يده اليمنى تسبقه لتستشعر مكان خطواته واتجاهاته وقد استطاع بها تجاوز كل العقبات بدقة والوصول الى المكتب في الدور الثاني مستخدما المصعد الكهربائي. وكان ذلك على عكس زيارته للمكتب في المرة الاولى حيث كان برفقة شخص آخر.

قلت له كيف استطعت الوصول الى مكتبي يا محمد بمفردك؟ قال: عن طريق الاستقلال الذاتي قلت لم افهم؟ قال: قرأت زوجتي عن مركز متخصص لتأهيل

محمد بيلو يدعو الى برنامج خاص لقهر الظلام

جدة: من خالد بافقيه ـ تصوير: بطرس عياد

● الاستقلال الذاتي يلغي حاجة الاعمى الى الآخرين
● تدريب خاص لاعتبار العميان غير معوقين

العميان عن طريق تدريبهم على الاستقلال الذاتي في امريكا، تم جمع تبرعات شخصية، وصلت الى مطار مينوبلس في الولايات المتحدة الامريكية في يوم الخميس 8 اغسطس (آب) 1996، وذلك للالتحاق بمعهد جمعية العميان الامريكية لاعادة تدريبي وتأهيلي، وقد قرأت عن مدينة مينوبلس بولاية مينوسوتا، وعرفت انها الارض التي اطلق عليها الهنود الحمر «ارض المياه الزرقاء» و«منبع ارض الشلال» وتمتاز هذه المدينة ايضا بكثرة المياه وتحيطها البحيرات من كل مكان، وينبع فيها نهر المسيسيبي اعرض انهار العالم، وحينما وصلت خرجت من صالة المطار وقد امسك بيدي موظف شركة الطيران.

في وسط هذه المدينة الجميلة بأشجارها المتنوعة والكثيرة، وبالتحديد في شارع 27 توجد عمارة رقم 2655 مكونة من ثلاثة طوابق تحتضن 12 شقة، جميع سكان العمارة مكفوفون من اعمار واجناس مختلفة.

يعد لنفسه الشاي



امتحان للتخرج بكفاءة



يقرا ويكتب

كنت احد هؤلاء المستأجرين في هذه العمارة.

وتابع محمد بيلو حديثه: بعد فترة التدريب التي استمرت لمدة اربعة اسابيع قضيتها في برنامج مكثف لتدريبي على التعامل مع العمى. خرجت من شقتي بمفردي وركبت التاكسي ووصلت المطار احمل حقائبي بيدي اليسرى على ظهري وعصاي البيضاء بيدي اليمنى، وتقدمت الى الطابور حتى جاء دوري وسمعت الموظفة تنادي فقدمت التذاكر ووزنت الحقائب واخذت بطاقة الصعود الى الطائرة، واخذت ارشادات الصالة، ثم توجهت الى صالة السفر بمفردي. وهذا اهم ما لمسته من فرق قبل التحاقي بالمركز وبعد فترة التدريب، فقد تحولت في ثلاثين يوماً من شخص عاجز عن الحركة والتنقل العام في معظم الاوقات الى شخص آخر له مقدرة فائقة للاعتماد على الذات وعدم الاعتماد على الغير بجعلهم عيوناً بديلة في الحركة والتنقل وتلبية الاحتياجات.

ويضيف بيلو: ولم انجح في الاستقلال الكامل عن الغير فقط بل استطعت استخدام الآلات الفنية والكمبيوتر كما اني الآن استطيع قراءة حروف برايل باللغة الانجليزية والطباعة بالكمبيوتر، والطبخ، والاهم من ذلك كله الذهاب بمفردي الى اي مكان وفي اي وقت واصعب الظروف دون الاستعانة بأحد.

برامج خاصة

ما هي الوسائل والظروف التي صنعت هذا التحول؟ وكيف يمكن الاستفادة منها في عالمنا والنهوض بفلسفة جديدة متطورة تحمل شعار الاستقلال التام للكفيف لممارسة الحياة اليومية بصورة طبيعية وفعالة اجتماعيا ومواصلة الحياة اليومية وممارسة اصعب الاعمال الفنية والادارية للمنزل والعمل.

يقول بيلو: يسمي هذا المركز بالجمعية الوطنية الامريكية للعميان، فمنذ سنتين فقط بدأ يستقبل طلاب من جميع انحاء العالم، وكنت ابان دراستي في المعهد اسكن مع طالب كفيف من اليابان يبلغ من العمر 35 عاما في العنوان الذي ذكرته وهو يعمل في شركة الاذاعة الوطنية للمكفوفين في اليابان، وهي اذاعة تقوم ببث كتب وندوات على الهواء يستقبلها المكفوفون على اجهزة راديو خاصة ومتوفرة في جميع مدن اليابان، وهذا الشاب اعمى منذ الولادة وهو يقوم باعداد بث هذا البرنامج الجيد بتغطية جميع النشاطات التي تخص المكفوفين والمعاقين في امريكا، وبثها عبر اجهزة كومبيوتر ناطقة باللغة اليابانية وتستقبل الشركة في اليابان جميع التقارير اسبوعيا واحيانا يوميا، وتصادف اني حضرت في احد الليالي مقابلات يجريها هذا الطالب الياباني مع مكفوفين يابانيين في امريكا وكندا عبر شبكة المعلومات «انترنت»، وكنت العربي الوحيد الذي يتلقى دورة في هذا المركز. ويضم المركز جنسيات مختلفة من كندا وقبرص وكولومبيا.

وكما اوضحت اني خضعت لبرنامج تدريب مكثف في المعهد. ولكن مدة الدورة العادية 9 اشهر.

ويقول بيلو: واثناء الدورة الكاملة للأعمى في المركز التي تصل الى 9 اشهر يقوم الاعمى بأعمال تثبت قدرته الفائقة على التكيف مع واقعه، فيقوم الـ60 متدرباً المنتسبين الى المركز بالطبخ بمفردهم وشراء لوازم النظافة وبعد انتهاء دورة كل متدرب يحضر مسؤولون من الولاية ومن المجلس الاعلى للجمعية الوطنية لحضور الاحتفال.

ويضيف محمد بيلو ومن ضمن الاختبارات التدريبية يقوم سائق المركز بأخذي من مكان التدريب الى اي مكان ما في المدينة، وغالبا ما يكون خاليا من الحركة حتى لا اقابل احدا اسأله، ولا يحق للمتدرب سؤال السائق الا سؤالا واحدا فقط، بعد ذلك يجب على المتدرب العودة الى المركز مشيا على الاقدام مستخدما العصا البيضاء بمفرده وهو معصوب العينين، ويكون هذا الاختبار للمشي مسافة 12 ميلا



التمرين على الاستقلال الذاتي



تدريب على السلالم ايضا

فرديا لاثبات القدرة على التنقل الذاتي بأمن وسلام، فاذا وصل يكون الجميع في انتظاره، حيث يدق الجرس لاعلامه بنجاحه في برامج الاستقلال الذاتي الكامل، كما نتلقى تدريبا في كيفية القدرة على برمجة واستخدام اجهزة الكمبيوتر الحديثة، عبر كمبيوتر صوتي يطبع بطريقتين، برايل، والحروف العادية، كما نتدرب على قراءة 200 كلمة في الدقيقة والكتابة بطريقة برايل في سرعة الانسان الطبيعي، ويصل المتدرب الى هذه المرحلة عبر جدول يومي طوال فترة التدريب حيث يبدأ من الساعة الثامنة صباحا وحتى الساعة الرابعة والنصف عصرا يوميا، ويرتدي جميع المتدربين عصابة سوداء على اعينهم في جميع الاوقات اثناء تواجدهم في مكان التدريب او المركز، وذلك كوسيلة لزيادة مهارات الكفيف بصورة سريعة ولكي يلغي الكفيف اي امل في امكانية ان يرى ولو بصيصاً من الرؤية يعتمد عليها وايضا لزرع الثقة في النفس وازالة شبح الخوف من الظلام.

ويقسم جدول التدريب اليومي الى ساعتين للادارة المنزلية، يتعلم خلالها المتدرب شراء الاحتياجات من السوق والتجهيز للطبخ واستخدام جميع معدات المطبخ مثل البوتجاز وغسالة الاطباق والمايكرويف بمفرده للطهي لضيوف الحفلة المقامة في المنزل، ثم استخدام غسالات الملابس، بعد ذلك تخصص ساعة لتعلم برمجة الكمبيوتر وادخال المعلومات وتخزينها وفتح الملفات، وساعة اخرى لكيفية القراءة بطريقة برايل والكتابة بالطريقة المختصرة السريعة، وتبدأ القراءة من (A.B.C) حتى تصل سرعته الى اكثر من 110 كلمة في الدقيقة، وبعد ذلك تخصص ساعتان للمشي الذاتي مع استخدام العصا البيضاء، والسير في الاماكن العامة واستخدام المواصلات العامة والتنقل داخل المدينة والذهاب الى المطاعم والمسارح وملاعب المباريات والاستمتاع بالانشطة الاجتماعية كالمبصرين تماما. ويقول بيلو: وهذا اهم واغلى ما يستمتع به الكفيف، عندما يستطيع الذهاب الى اي مكان دون الحاجة لانتظار احد للمساعدة.

كما تخصص ضمن البرنامج اليومي ساعتان للعمل الفني داخل ورشة او ما يسمى بمعمل الخشب للقيام بانجاز عمل فني مستخدما الآلات الكبيرة والحادة والمناشير الكهربائية، كما يتخلل البرنامج محاضرات خاصة يلقيها الذين نجحوا في حياتهم كعميان، ويعملون في مجالات مهمة جدا، اضافة الى القيام برحلات ميدانية للانشطة التي تقام في المدينة وذلك للمشاركة مع المبصرين واثبات قدرة الكفيف، والاستمتاع بما يدور حوله من مشاهد طبيعية واجتماعية فهدف المركز هو تدريب الاعمى على جميع المهارات الصعبة، واثبات ان الكفيف ليس معاقاً حيث ان المركز لا يؤمن باعاقة العميان، وانا بدوري شاهدت طالبا منهم تخرج قبل عام، وعمره 28 سنة بترت ساقاه من الركبة وفقد عينيه في حادث وقع له في مزرعة والده، وهو الآن يدرس في الجامعة، يصل بمفرده ويزور المركز بعض الاحيان مستخدما كرسيا كهربائيا متحركا وعصا بيضاء، وقد اصبحت زوجته تعمل في المركز كأخصائية ادارية، وهي مبصرة وقد تزوجا قبل ثلاث سنوات، وقد ذكرني هذا بالشاعر المعروف محمد ابو الوفاء الذي فقد ساقه وبصره، ولم تقف حالته هذه امام طموحاته وتحقيق أماله وهناك من المكفوفين الذين بلغوا مراحل متطورة من المهارات يقومون بأخذ برامج تدريبية لتسلق الجبال والقيام بأعمال خطرة ومغامرات.

ويتابع محمد حديثه بحماس قائلا: عشت ثلاثين يوما في هذه المدينة وانا ارى عشرات العميان يذهبون الى اي مكان، ولم ار احدا يمسك بذراع الآخر، كلهم تدرب وتخرج منذ سنوات، كما ان رئيسة المركز فقدت بصرها منذ 20 عاما، وتعتبر احدى الشخصيات المهمة جدا في قيام الجمعية الوطنية الامريكية للعميان.

ويقول بيلو: ان هذه الجمعية تستخدم مراكز التدريب لنشر فلسفة العمي الجديدة ولها الآن ثلاثة مراكز في ثلاث ولايات امريكية، وتقيم الجمعية سنويا مؤتمرا عاما يحضره جميع الاعضاء المكفوفين من جميع الاعمار والجنسين، ويكون بمثابة تجمع شعبي للعميان، ويصل عدد الحاضرين الى الآلاف من العميان، واقيم المؤتمر هذه السنة بمدينة لوس انجليس، حيث تقام الحلقات والندوات وتكريم بعض العاملين، وهو يقام خلال اجازة عيد الاستقلال كل سنة في شهر يوليو.

ومن اهم مبادئ وافكار الجمعية ان الاعمى لا يحتاج الى تغيير البيئة ليكون فعالا وقادرا عى الحركة بل يجب ان ينمي جميع مهاراته الطبيعية في اي مكان ومهما كانت حالته البصرية، وبنجاح هذه الفلسفة بدأت بعض الولايات بتدريب المبصرين الذين يشرفون على تعليم المكفوفين حيث يتلقون مثل هذه الدورات وهم معصوبو الاعين وعلى فترات مختلفة.

ويقول بيلو وانا لم استطع اكمال البرنامج لتكلفته المالية التي لا اقدر عليها حيث يكلف في الشهر 3000 دولار شاملا السكن، فيتم اسكان المتدرب في شقة منفصلة مع اعمى آخر في عمارة سكن عام كي يقوم بممارسة العمل اليومي من بريد ونظافة واستخدام المواصلات للوصول الى المركز، وبالتالي يستطيع ان يمارس الاستقلال الذاتي اثناء الترديب.

وقال بيلو: استخلصت من هذه التجربة الحاجة الضرورية لنقل مثل هذه البرامج الى بلادنا للقضاء على العجز والشعور بالاحباط واعطاء واعادة الثقة للعميان في انفسهم، ومواصلة حياتهم اليومية، وتوعية المجتمع بأن العمى ليس كارثة، فالأعمى اذا فقد حاسة واحدة من الحواس المتعددة للحياة والعمل، فهو يستطيع ان يطبخ ويقطع ويمشي بمفرده لانه يقوم بهذه الاعمال بيده ورجليه وليس بعينه، وانما بصرة وسيلة مساعدة.

كما اهيب بأسر واصدقاء العميان جميعا في بلادنا الاسلامية اطلاع الغرب على المنهج الاسلامي في مسألة العمى والاعمى، والاعتبار بالصحابي الجليل عمر بن ام مكتوم الذي كرمه القرآن الكريم في سورة عبس، ووصفه بانه جاء ليسعى لطلب العلم وهو اعمى، وكان مؤذنا للرسول «صلى الله عليه وسلم» مع بلال حيث كان يؤذن لصلوات النهار والفجر، وعذره الله في سورة التوراة من الخروج مع المسلمين والرسول صلى الله عليه وسلم للجهاد في سبيل الله، حيث ولاه النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة 19 مرة حين خروجه الى الغزوات، وبعد وفاة الرسول خرج الى الجهاد وقتل في معركة القادسية وهو يحمل راية جيش المسلمين، واطلق عليه لقب «شهيد القادسية» وهذا هو الرمز الفعال في فلسفة الاستقلال الذاتي للاعمى، على ان مشكلة اعاقة وعجز الاعمى للمشاركة في المجتمع والتغلب على المشكلة ادت الى ابعاد الذين يفقدون بصرهم عن اعمالهم ■